وأتي في جانب هذا الاستفهام بالجملة الاسمية للدلالة على ثبات المرض في قلوبهم وتأصله فيها بحيث لم يدخل الإيمان في قلوبهم .

والارتياب : الشك . والمراد : ارتابوا في حقية الإسلام أي حدث لهم ارتياب بعد أن آمنوا إيمانا غير راسخ .

وأتي في جانبه بالجملة الفعلية المفيدة للحدوث والتجدد أي حدث لهم ارتياب بعد أن اعتقدوا الإيمان اعتقادا مزلزلا . وهذا يشير إلى أنهم فريقان : فريق لم يؤمنوا ولكنهم أظهروا الإيمان وكتموا كفرهم وفريق آمنوا إيمانا ضعيفا ثم ظهر كفرهم بالإعراض .

والحيف : الظلم والجور في الحكومة . وجيء في جانبه بالفعلين المضارعين للإشارة إلى أنه خوف في الحال من الحيف في المستقبل كما يقتضيه دخول (أن) وهي حرف الاستقبال على فعل (يحيف) . فهم خافوا من وقوع الحيف بعد نشر الخصومة فمن ثمة أعرضوا عن التحاكم إلى الرسول صلى ا عليه وسلم .

وأسند الحيف إلى ا ورسوله بمعنى أن يكون ما شرعه الإسلام حيفا لا يظهر الحقوق . وهذا كناية عن كونهم يعتقدون أنه غير منزل من ا وأن يكون حكم الرسول بغير ما أمر ا فهم يطعنون في الحكم وفي الحاكم وما ذلك إلا لأنهم لا يؤمنون بأن شريعة الإسلام منزلة من ا ولا يؤمنون بأن محمدا E مرسل من عند ا فالكلام كناية عن إنكارهم أن تكون الشريعة إلهية وأن يكون الآتي بها صادقا فيما أتى به .

واعلم أن المنافقين اتصفوا بهذه الأمور الثلاثة وكلها ناشئة عن عدم تصديقهم الرسول سواء في ذلك من حلت به قضية ومن لم تحل .

وفيما فسرنا به قوله تعالى (أفي قلوبهم مرض) ما يثلج صدر الناظر ويخرج به من سكوت الساكت وحيرة الحائر .

هذا في يؤت ولم . آخر خبر إلى التنبيهي الاستفهام من الانتقالي للإضراب (بل) و A E الإضراب ب (أم) لأن (أم) لا بد معها من معنى الاستفهام وليس المراد عطف كونهم ظالمين على الاستفهام المستعمل في التنبيه بل المراد به إفادة اتصافهم بالظلم دون غيرهم لأنه قد اتضح حالهم فلا داعي لإيراده بصيغة استفهام التنبيه . وليست (بل) هنا للإبطال لأنه لا يستقيم إبطال جميع الأقسام المتقدمة فإن منها مرض قلوبهم وهو ثابت ولا دليل على قصد إبطال القسم الأخير خاصة ولا على إبطال القسمين الآخرين .

وجملة (أولئك هم الظالمون) مستأنفة استئنافا بيانيا لأن السامع بعد أن ظنت بأذنه تلك

الاستفهامات الثلاثة ثم أعقبت بحرف الإضراب يترقب ماذا سيرسي عليه تحقيق حالهم فكان قوله (أولئك هم الظالمون) بيانا لما يترقبه السامع .

والمعنى : أنهم يخافون أن يحيف الرسول عليهم ويظلمهم . وليس الرسول بالذي يظلم بل هم الظالمون . فالقصر الحاصل من تعريف الجزأين ومن ضمير الفصل حسر مؤكد أي هم الظالمون لا شرع ا ولا حكم رسوله .

وزار اسم الإشارة تأكيدا للخبر فحصل فيه أربعة مؤكدات : اثنان من صيغة الحصر إذ ليس الحصر والتخصيص إلا تأكيدا على تأكيد والثالث ضمير الفصل والرابع اسم الإشارة .

واسم الإشارة الموضوع للتمييز استعمل هنا مجازا لتحقيق اتصافهم بالظلم فهم يقيسون الناس على حسب مايقيسون أنفسهم فلما كانوا أهل ظلم ظنوا بمن هو أهل الإنصاف أنه ظالم كما قال أبو الطيب : .

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه ... وصدق ما يعتاده من توهم ولا تعلق لهذه الآية بحكم من دعي إلى القاضي للخصومة فامتنع لأن الذم والتوبيخ فيها كانا على امتناع ناشئ عن كفرهم ونفاقهم .

(إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى ا ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون [51])